عن بعضها البعض، في ما يتعلق بعدد القتلى الفلسطينيين، ومتفقة، كلها، في عدد القتلى الاسرائيليين. وربما يرجع ذلك الى قلة عدد القتلى والجرحى بين الاسرائيليين، أو الى وفاة بعض الجرحى الفلسطينيين بعد نقلهم الى المستشفيات، أو أخذهم منها، أو عدم الاعلان عنهم أصلاً.

وأضاف آخرون الى هذا الخسائر والاضرار المعيشية الناجمة عن تحطم اقتصاد المناطق المحتلة بسبب تغيب العمال العرب عن العمل في اسرائيل، ووقف العمل، جزئياً، في قطاعات الانتاج والتجارة، وارتباك الاعمال الزراعية، والعقوبات الاقتصادية التي فرضتها اسرائيل في مجال التسويق، والقيود على استيراد رأس المال والغاء مشاريع مختلفة، وهو ما أدى، بمجموعه، الى انخفاض ايراد الفلسطينيين وتدهور مستوى معيشتهم بصورة حادة. الى ذلك برزت مظاهر اختلال النظام الاجتماعي والتوازن الاجتماعي التقليدي. وتعطلت دراسة مئات آلاف الطلاب. واضطر السكان الى البقاء في البيوت في أثناء فرض حظر التجول. وظهرت الفوارق الطبقية بشكل واضح، ونشأ جو من الفوضى والارتباك، وأدت اجراءات العقوبات ضد الفلسطينيين الى جعل حياتهم اليومية صعبة جداً. والنتيجة العامة هي تحول المجتمع الفلسطيني، في الضفة والقطاع، الى مجتمع منهك اقتصادياً واجتماعياً؛ ومع ذلك فمن الخطأ الاعتقاد بأنه غير قادر على مواصلة انتفاضته (د. أفرايم سنيه، «حساب عام على الانتفاضة»، **الملف**، نيقوسيا، العدد ٥٧/٩، كانون الاول ـ ديسمبر ١٩٨٨، ص ٨٣٠؛ نقلاً عن **هآرتس**، ١٩٨٨/١١/٢٩).

واستخلص قائد المنطقة الوسطى في الجيش الاسرائيلي، الجنرال عميرام متسناع، ان الاوضاع، منذ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٨، أخذت تتجه نحو تراجع عدد حوادث العنف والضحايا. وصرح متسناع: «انني ما ازال اشعر بعدم الرضا عمّا سوف أفعله لمجرد استيقاظي في الصباح... فثمة شعور حقيقي بالارتياح لملاحظة الهبوط في مستوى حوادث الشغب والضحايا. في آذار (مارس) هذا العام [١٩٨٨]، كان هناك شعور حقيقي بأن الوضع قد أفلت من يد الرقابة» (ديفيد ريتشاردسون وكينيث كابلان، «بعد عام على الانتفاضة تمكّن جيش الدفاع من الفوز بالسيطرة»، **جيروزاليم بوست**، ١٩٨٨/١٢/١٧).

اذا كان لبعض هذا الاستخلاص ما يسنده، فان المظهر الخارجي العام للاحداث في الضفة والقطاع لا يعكس حقيقة التحولات في شكل، ومضمون، الانتفاضة. «فبعد عام، دخلت الانتفاضة الفلسطينية مرحلة فكرة الدولة. وبات من الصعب قياسها بحجم التظاهرات واعمال العنف وحسب، أو عدد الضحايا بين اليهود والعرب. فقد مضت الانتفاضة بشكل أعمق من ذلك، ونفذت الى جميع مظاهر الحياة الفلسطينية» (جويل غرينبرغ، «فكرة الدولة»، **المصدر نفسه**، الطبعة الدولية، ١٩٨٨/١٢/١٧). لقد تحولت الانتفاضة ـ كما قال رئيس رابطة الصحافيين العرب، رضوان ابو عياش ـ الى طريقة للعيش (اندرو وايتلي، «الانتفاضة تحولت الى طريقة في العيش»، **القبس**، الكويت، ١٩٨٨/١٢/١٢؛ نقلاً عن **فايننشال تايمز**، بدون ذكر تاريخ النشر). وقد تلقّى الفلسطينيون، من كل الاعمار والطبقات، خلال العام الاول من الانتفاضة، جرعة قوية من التعليم الوطني. فقد انتشر الوعي السياسي والتفكير الوطني داخل المجتمع الفلسطيني. فعندما فتحت المدارس، ذكر مدرّسون ان طلابهم امضوا كل لحظة فراغ في رسم العلم الوطني وكتابة الشعارات الوطنية على الالواح السوداء. لقد تعزز الوعي السياسي بمعان جديدة، وتمّ تحديد وربط كل تاريخ وطني فلسطيني باضراب معيّن. وتحوّلت المناقشات، في البيوت والمدارس وأماكن العمل، الى القضايا السياسية. لقد خلق هذا كله جيلاً ذا وعي سياسي كبير. على المستوى الاجتماعي، وقرّبت الانتفاضة المجتمع الفلسطيني من بعضه البعض، وأخذ الناس يهتمون بمشكلات بعضهم ويساعدون بعضهم على المستوى الاقتصادي، وأصبحوا قابلين لنسيان الخلافات والمشاحنات القديمة. وفي حالات كثيرة لعبت القيادة الموحّدة دوراً هاماً في حل الخصومات والنزاعات العائلية؛ ووحدت الاضرابات بين غالبية الطبقات الاجتماعية؛ واختلفت طرق الزواج ومهوره عمّا كان عليه الحال من قبل. لقد علّمت الاحداث، التي وقعت في القرى البعيدة، الفلسطينيين اشياء جديدة عن وطنهم. فقد باتت القرى البعيدة غير المعروفة